لفظة القواعد في القرآن الكريم
(دراسة دلالية)

إعداد

م. م. ملاك شاكر محمود

الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية

قسم اللغة العربية

المقدمة

الحمدُللهِ ربِّ العالمين والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّدنا محمد وعلى آلهِ الطَّيِّبينَ الطَّاهرين وصحابتهِ الأكرمين ومن تبعهُم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

وبعد؛ في كُلِّ مرَّةٍ كنتُ أقرأُ القرآن يتردَّدُ صوتٌ في داخلي أنِ ابدئي بكتابةِ هذا البحث وهو لَكِ حتَّى حانَ وقتُه. لِكُلِّ شيءٍ في هذهِ الحياةِ قَوَاعِد، والقواعدُ التي ذُكِرَت في القرآن الكريم ثلاث، وردت للمرة الأولى في (سورة البقرة الآية: ١٢٧) في قوله تعالى:﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧﴾ [البَقَرَة:١٢٧]، والمرة الثانية في (سورة النحل الآية: ٢٦) في قوله تعالى: ﴿قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ٢٦﴾ [النَّحل:٢٦]، والثالثة في (سورة النور الآية: ٦٠) في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقَوَاعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٦٠﴾ [النور:٦٠]، وهذه الآيات شكَّلَت تكامُلًا معرفيًّا ـكونها في علوم النصـ بينها وبين علم الإنسان، إذ أنَّ رفع القواعد وبناءَها جرى على بيت الله وهو معروفٌ في علم الإنسان، كما أنَّ انهيار الأبنية وإتيانها من القواعد جرى بأمر الله على أحد جبابرة الأرض وهو أيضًا موجود في علم الإنسان لذا توصَّل علم الهندسة لاختراع اللفائف الحديدية التي تقي المباني انهيارها من قواعدها، وكذا المرأة القاعد التي يكون جمعها على قواعد خفَّف الله عنها بعض الأحكام في لباسها وهذا متعارف عليه لدى المجتمعات غالبًا عندما تصل المرأة سنّ القواعد، فهنا يكمن التكامل المعرفيّ بين ما ذكره الله (عزَّ وجلَّ) وما هو معلومٌ لدى الإنسان، أو معروفٌ في علومهم. ففي سورة البقرة تكلم ربُّ العزَّة عن رفع قَوَاعِدِ البيت الحرام من قِبَل نبيَّيه (عليهما السلام)، إذ هو علمٌ في النَّص، وفي علم الإنسان نعلم كيف يرفع الإنسانُ قَوَاعِدَ بيته عند البناء ولكل بيتٍ قَوَاعِد، أي: أُسُسًا يُبنى عليها، وكذا قَوَاعِدَ البيت الحرام، ولكن شتّان بينهما، بيد أنَّ التكاملَ موجودٌ في القواعد بعلم النَّص والإنسان. أمَّا في سورة النحل، فنجدُ أنَّ التَّطور في علم الهندسة أثبَتَ إمكانيَّة تحاشي الإنسان انهيار الأبنية باللفائف الحديديّة الضَّخمة التي توضع في قَوَاعِدِ الأبنية ما يجعلها تتأرجح بانسيابية حتى إذا أتت العواصف والزلالزل لا ينهار البناء، ولكن عندما أتى الله قَوَاعِدَ قارون وقومه خرَّ عليهم السَّقفُ من فوقهم. يستطيعُ الإنسانُ أن يعملَ فكرهُ، فيُبدع، ويتطوَّر؛ كي يتجنَّبَ كوارث الطبيعة، فلا تنهار أبنيتُه، وتصمُد أمام الحوادث، ولكن إرادة الله عندما تأتي أي قاعدة من القَوَاعِد ـمهما كانت ضخمةً ومتطوِّرةـ تنهار على رؤوس أصحابها كما خرَّ السَّقف على قارون وأصحابه. أما في سورة النور فنجد أنَّ المتعارف لدى الإنسان عندما تبلُغ الفتاة تكون كثيرة الحركة في منزلها وتقوم

بواجباتها، فتُطلَب للزواج وتصلُح للإنجاب، وقد أوجبَ الله عليها أحكامًا في لباسها وخروجها عليها الالتزام بها كونها شابّة ناضجة تُرجى للنِّكاح، ثمَّ ينقضي ذلك، فتكبُر، ويبدو عليها التعب، وأكثرُ ماتكون عليه في بيتها قَاعِدَة؛ لمرضها وكبر سنّها، ولا تعود كالسَّابق. شيئًا فشيئًا يذهب جمالها وتخفُّ حركتها حتّى تقعُد وتكون غيرَ مرجوَّةٍ للنِّكاح؛ لذا يُبيح الله لها أن تضع شيئًا من ثيابها وتتخفَّف منها أمام الأجانب غير متبرِّجة بزينة، ولا جُناحَ عليها، وأن لا تأخُذ بهذه الرُّخصة خيرٌ لها، والمرأة كبيرة السّن في المجتمعات لا يُلتَفَت إلى حجابها كثيرًا كما في المرأة الشابّة. ولوجود التكامل المعرفيّ بينَ هذه الآيات الثلاث وبين علم الإنسان؛ لذا شاركتُ في هذا المؤتمر.

هدفي من هذا البحث هو أن أُبيّنَ اختلاف دلالة هذه اللفظة في القرآن الكريم على الرغم من أنَّها واحدة، لكنها في كُلّ مرّة أتت بمعنى يختلف عن الآخر، وجاءت بمواقعَ إعرابية مختلفة، وفي كل موضع دلالة تختلف عن الأُخرى ما يُغني اللفظة فيجعلها بحثًا يصلح للنشر والمشاركة، بالإضافة إلى بيان إعجاز القرآن الذي لا ينتهي.

قسَّمتُ البحث على مقدِّمةٍ وتمهيدٍ وخاتمةٍ ومبحثين.

أَما التَّمهيد: فجعلتُهُ لتعريف علم الدلالة لغةً واصطلاحًا، وموضوعه بشكلٍ مختصر، ولم أتعرَّض لنشأة علم الدلالة؛ لأن الكتب تزخر بنشأتها ككتاب دلالة الألفاظ للدكتور إبراهيم أنيس، وعلم الدلالة العربي للدكتور فوزي الداية، وغيرها الكثير، والبحث محدد بصفحات معدودة لا تتسع لها.

المطلب الأول: تعريف علم الدلالة لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثاني: موضوع علم الدلالة.

وأما المبحث الأوَّل: فهو لدراسة اللفظة من حيث المستوى المعجمي، والصوي والصرفي، وقد قسمته على ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: المستوى المعجمي.

المطلب الثاني: المستوى الصوتي.

المطلب الأول: المستوى الصرفي.

أما المبحث الثاني: فجعلته لدراسة اللفظة من حيث التركيب والبلاغة والسياق، وهو على ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: المستوى التركيبي.

المطلب الثاني: المستوى البلاغي.

المطلب الثالث: المستوى السياقي.

وستكون دلالة هذه المستويات مجتمعةً حسب محاور الآيات وسورِها في الخاتمة ونتائجها.

وفي الختام، الله أسألُهُ الرضى والقبول إذ وفقني لهذا العمل، فإن أصبتُ فبنعمةٍ منه وإن أخطأت فمن نفسي، راجيةً مزيدًا من العلم والتقدم، وآخر دعوانا أن الحمدُ للهِ رب العالمين.

التمهيد

تعريف علم الدّلالة لغةً واصطلاحًا وموضوعه، وفيه ما يأتي:

ـ تعريف علم الدّلالة لغةً واصطلاحًا.

لغةً: ذكر الخليل أنَّ الدَّلالة: "مصدر الدَّليل (بالفتح والكسر)"[1].

وقال ابن فارس أنَّ:» الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأَمارةٍ تتعلَّمُها، والآخر اضطراب في الشيء. فالأول قولهم: دللتُ فلانًا على الطريق. والدَّليل: الأَمارةُ في الشيء. وهو بين الدَّلالة والدِّلالة...»[2].

واصطلاحًا: قال الدكتور أحمد مختار عمر:» يعرِّفه بعضهم بأنَّه ((دراسة المعنى))، أو ((العلم الذي يدرس المعنى))، أو((ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى))، أو ((ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرًا على حمل المعنى))»[3].

ـ موضوع علم الدّلالة.

يهتم بكل شيء يقوم بدور العلامة أو الرمز، فهي علامات على الطريق، أو إشارة باليد أو إيماءة بالرأس، وربما تكون كلمات وجملًا، وقد تكون علامات أو رموزًا غير لغوية تحمل معنى، وربّما تكون علامات أو رموزًا لغوية، ويركز موضوع علم الدلالة على اللغة من بين أنظمة الرموز باعتبارها ذات أهميَّة خاصّة بالنسبة للإنسان[4].

المبحث الأول: المستوى المعجمي، والصَّوتي، والصَّرفي للفظة القَوَاعِد.

في هذا المبحث سأتحدّث بالتفصيل عن دلالة لفظة (القواعد) حيث سأُبينُ دلالة اللفظة معجمًا وما ذكره علماء اللغة في معاجمهم عنها في المطلب الأول، أمّا المطلب الثاني فسيكون لدراسة حروف اللفظة حرفًا حرفًا من حيث المخرج والصفة والمعنى في المستوى الصوتي، أمّا المطلب الثالث فسأشرح فيه دلالة اللفظة من الناحية الصّرفيّة، وأُرجِعُها إلى جذرها الأصليّ ومعناه ثمّ أُبيّن ما أضافتهُ حروف الزيادة من معنى جديد لها، وأَخرُجُ بدلالَتَي الجذر الأصيل وحروف الزيادة معًا وما أفادتاه في البناء صرفيًّا.

---

(١) العين: ٨: ٨.

(٢) مقاييس اللغة:٢: ٢٦٠.

(٣) علم الدلالة:١١.

(٤) ينظر:علم الدلالة:١١، ١٢.

المطلب الأول: المستوى المعجمي:

خصَّصتُ هذا المطلب لتبيين اللفظة معجمًا عند علماء اللغة. إذ تعني في الآيتين الأوليين أساسُ البيت، وفي آية النور تختلف عنهما فيراد بها جمع المرأة التي هي صفة لوزن فاعل، وإن أُريد منها الجلوس فواحدتها قاعدة كالقاعدة التي يراد بها أساس البيت ولكن لكل منها معنى مختلف وسأُبيّن ذلك.

قال الخليل:» القواعدُ: أساسُ البيت، الواحدةُ قاعِد وقياسَهُ قاعدة بالهاء، وقعائدُ الرَّملِ وقواعِده: ما ارتكن بعضه فوق بعض. وقواعدُ الهودج: خشباتٌ أربعٌ معترضاتٌ في أسفله قد رُكِّبَ الهودج فيهنَّ»[1].

وقال ابن فارس:» القاف والعين والدال أصلٌ مُطَّرِدٌ مُنقاس لا يُخلَف، وهو يضاهي الجلوس وإن كان يُتَكَلَّم في مواضع لا يُتَكَلَّمُ فيها بالجلوس. وامرأةٌ قاعِدَةٌ، إن أردتَ القُعُود، وقاعدٌ عن الحيض والأزواج، والجمعُ قواعِدُ»[2].

وذكر ابن دريد في الجمهرة بقوله:» الرجل قاعد والمرأة قاعدة. وامرأة قاعد بغير هاء إذا قعدت عن الزوج»[3].

المطلب الثاني: المستوى الصوتي:

احتوت لفظةُ (القواعد) على سبعة أحرف؛ لذا سأُبيّن ما لِكُلِّ حرف من مخرج وصفة ومعنى، وما يفيد كلٌّ منها في المعنى الصوتي للفظة في الآيات.

أوَّلًا: حرف الألف: مخرجه وصفته ومعناه:

الألف ليس لهُ نقطة إنتاج معيَّنة على طول مجرى الهواء؛ لأنَّ اللسان يكون معها في واقع الأمر في وضع إراحة أي ممتدًّا في قاع الفم فهو يخرج من مكان لا يمكن رصده، فيكون من أقصى مخرج في الجوف[4] وصفته الخفاء قال العلامة أبو شامة: «أخفاها وأوسعها مخرجًا هي الألف ثمَّ الواو»[5]، فيرتاح الإنسان عند النطق بها؛ لأنَّ الهواء يخرج بحُريَّة[6]، ودلالة الحُرِّيَّة في الألف هي الدَّلالة على أنَّ تلك القواعد ممتدَّة

(١) العين للخليل:١: ١٤٣.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس:٥: ١٠٨، وينظر: مجمل اللغة:١: ٧٦٠.

(٣) جمهرة اللغة لابن دريد:٢: ٦٦١.

(٤) ينظر: دراسة الصوت اللغوي لأحمد مختار عمر:٣٤٥.

(٥) إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع لأبي شامة:١١٣، وينظر: أحكام التلاوة والتجويد لامتثال محمد صالح:٩٩.

(٦) ينظر: المواءمة والمفارقة في سورة الفاتحة للأستاذين باوه وصباح مولود:٢٢٨.

في الأرض متجذِّرَة آخذة مجراها في عمق الأرض بكلِّ حُرِّيَّة، والألف صوتٌ خفيّ يُدَلِّلُ خفاءَهُ على خفاء تلك الجذور فهي لا تُرى؛ لكونها ممتدّة في باطن الأرض هذا لقواعد بيت الله الحرام وقدم جذورها وعمقها، وكذا لبيوت الإنسان وأيُّ صرحٍ يبنيه كصرح النمرود مثلًا كانت له جذورًا خفيَّةً أسَّسوا لها تحت الأرض كَكُلِّ بيت ولكن شتّان بين الجذرين والعُمقَين والبناءَين.

ثانيًا: حرف اللام: مخرجه وصفته ومعناه:

ينطق اللام باعتماد طرف اللسان على أصول الأسنان العليا وعلى النخاريب (اللثة)، بحيث يمنع مرور الهواء المزفور من هذه النقطة. إلّا أنَّه يترك منفذًا لهذا الهواء من جانبي اللسان أو من أحدهما؛ ولذا سمِّيَ هذا الصوت بالجانبي Leateral. ويتذبذب الوتران الصوتيان حال النطق به[1]، وفيه انحراف وميل إلى طرف اللسان[2]، وهو صوت لثوي جانبي مجهور[3]، واللام تنحرف يمينًا ويسارًا إلّا أنَّ انحرافها إلى اليمين أيسر[4]، ويدل صوت اللام على الضم والجمع[5]، الضم والجمع معنىً أصيل متجسِّد في حرف اللام فبعد امتداد جذور القواعد في الأرض هناك اتِّحاد لتلك الجذور الممتدّة فتجتمع وتُضَم بعضها على بعض لتكون القاعدة، واللام مجهور فكأنَّ هناك حركة في داخل الأرض حصلت لبيت الله الحرام عندما امتدَّ جذرُها الخفيّ في باطن الأرض حتى اتَّحدَ بعضه مع بعض ليجهر بقراره في الأرض واستعداده ليظهر ويتطاول ويكون بيت الله الحرام، ويكون بيت الإنسان كذلك إذ بعد ظهور تركُّز تلك القواعد في الأرض وظهورها عليها سيتطاول البنيان سيعيش فيه الإنسان ستسكنه أرواحهم ليضم أهله ويجمعهم وصفة الجهر متجسِّدَة فيها صوت التلبية الذي لا ينقطع صوت التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير الذي كان وسوف يبقى حتى يشاء الله، وكذا يتجسَّدُ باللام صوت العائلة التي تسكن ذلك المنزل الذي بُنيَ على أساس وقاعدة يجسده صوت اللام الذي يضمهم وأصواتهم بما فيها، وكذا صوت النمرود ومن تبعه عندما خر عليهم السقف من فوقهم نرى أن الحروف المجهورة تصدح بتلك المعاني وأشهرها اللام لمعناه الذي يدل على الضم والجمع.

(١) علم الأصوات العام لبسام بركة:١٢٧، ١٢٨

(٢) ينظر: أحكام قراءة القرآن الكريم للحصري:١٠٤.

(٣) ينظر: علم الأصوات اللغوية لمناف الموسوي:٦٩.

(٤) أحكام التلاوة والتجويد:٩٧.

(٥) ينظر: المواءمة والمفارقة:٢٣٠.

ثالثًا: حرف القاف: مخرجه وصفته ومعناه:

يتم نطقه بارتفاع الطبق ليسد المجرى الأنفي مع ارتفاع مؤخرة اللسان تجاه اللهاة، فتلتصق بها، وبالجدار الخلفي للحلق، فينحبس الهواء خلف ذلك السد، تنفتح في وضع مشابه لحالة التنفس، وهو صوت لهوي، شديد، مهموس، ويُعدّ من أصوات القلقلة والاستعلاء[١]، ويدل صوت القاف على القوة والشدَّة والفعالية والشق والكسر[٢]، بعد وجود الألف واللام الدالَّين على عمق الجذور واتِّحادها لتكون القاعدة هناك قوة وشدَّة وفعالية تدلّ على الشَّق والكسر متجسِّدة في حرف القاف إذ بعد تكوُّن القاعدة من جذورها هناك شق للأرض وإثبات لنفسها فوق الأرض وخروجها من باطن الأرض فكأنَّ تلك الجذور المتَّحدَة تشق الأرض حتى تكون على سطحها لا باطنها وهذا جسَّدَهُ حرف القاف الذي يدل على القوَّة والشدَّة التي لولاها لما استطاعت تلك الجذور أن تصل من باطن الأرض إلى سطحها، وحرف القاف شديدٌ مهموس همسه يدل على تلك الشِّدَّة على قوتها إلّا أنَّنا نشعر بمعناها أكثر مما هي حقيقة تُرى بمجرد نظرة سطحيَّةٍ لها، فهذا يدل على الرغم من تلك القوة والشدة هناك هدوء يتجسد في صفة الهمس أن تُثبتُ القواعد نفسها وإن كان برفع النَّبيِّينِ لها وإن كان برفع الإنسان لها، فبعد الانتهاء من رفع القواعد هناك هدوء حاصل جسَّدته صفة همس القاف فكأن القاعدة أثبتت نفسها بكل هدوء وإن أثارث جلبة حتّى استُظهرَت بالرَّفعِ إلّا أنّ الجلبة انتهت وبقيت هي بقوَّتها وشدَّتها قائمة ثابتة راسخة بكل هدوء جسَّد ذلك صفة الهمس.

رابعًا: حرف الواو: مخرجه وصفته و معناه:

يتم نطقه بضم الشفتين بطريقة تقترب من نطق الحركات، وهو صوت شفوي مجهور[٣]، ويدل صوت الواو على الفعالية والاستمرارية، وهو من أكثر الأصوات استعمالًا؛ لأنَّ النفَس لا يصطدم بأي عائق عند خروجه في جهاز النطق، ولأنَّ الإنسان يحس من صوت الواو بالحرية والانعتاق، ويحاكي صوته الامتداد إلى الأمام[٤]، مجهورٌ هو صوت الواو ليدل على جهر تلك القاعدة وذاك الأساس بعد أن أثبت نفسه راسخًا، فيدل على الفعالية والاستمرارية أي أنَّ القاعدة لن تبقى على ما هي عليه فحيب بل سيتمُّ العمل عليها حتى تتطاول وتصبح بنيانًا شامخًا ضربت جذوره في الأرض واعتلا وتطاول فوقها فتبنى لَبِنَات البناء باستمرار حتى مرحلة الانتهاء منه، وبلا عوائق فهذا متجسِّدٌ في صوت الواو الذي يدل على الحرية

(١) ينظر: علم الأصوات اللغوية لمناف الموسوي:٨٣.

(٢) ينظر: المواءمة والمفارقة:٢٣٣.

(٣) ينظر: علم الأصوات اللغوية لمناف الموسوي:٥٤.

(٤) ينظر: المواءمة والمفارقة:٢٣٢.

والانعتاق، فهناك استمرارية في البناء بشكل حُر يجهر بتطاوله وقوَّتِه والعين تبصر ذلك بوضوح، وبعد الواو يتجدد تواجد صوت الألف المزيدة من جديد ليؤكد على تطاول البنيان بحُرِّيَّة واستمراره.

خامسًا: حرف العين: مخرجه وصفته ومعناه:

يتم نطق حرف العين بتقريب جذر اللسان من الجدار الخلفي للحلق، بحيث يسمح للهواء بالمرور وحدوث احتكاك بموضع التضييق مع ارتفاع الطبق ليسد المجرى الأنفي مع تذبذب الأوتار الصوتية عند النطق، وعدَّه القدماء من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة، وهو صوت حلقي رخو، مجهور، مرقق[1]، ويدل صوت العين على الشِّدَّة والفعالية والقطع، وعلى العِظَم والظهور[2]، فتتجسَّد شدَّة البناء ووتطاوله وظهوره في صوت العين، وبه تتَّضح عظمة البيت الحرام وتتجسَّد وكذا صرح نمرود العظيم والمباني الشاهقة يظهر معناها في صوت العين الدَّالِّ على العِظَم والظهور للناظرين جاهرًا بعظمة بيت الله الحرام ودقَّة البناء وإعمال العقل والفكر وتطوُّر علم الهندسة واستخدامه في العمران ولكن شتَّان بين العَظَمتين.

سادسًا: حرف الدال: مخرجه وصفته ومعناه:

ينطق هذا الحرف عندما يندفع الهواء من الرئتين إلى مجرى الحلق والفم مارًّا بالحنجرة، فيلاقي انسدادًا محكمًا بسبب التصاق طرف اللسان باللثة وأُصول الثنايا، وعند انفصال ذلك الالتصاق انفصالًا مفاجئًا يندفع الهواء بشدَّة محدثًا صوتًا انفجاريًّا مع اهتزاز الأوتار الصوتية عند مرور الهواء بالحنجرة كما تبقى مؤخرة اللسان في وضع أُفقي، وهو صوت أسناني، لثوي، شديد، مجهور، مرقق[3]، ويدل صوت الدال على الصلابة والقساوة، ويُعبّر به عن معاني الشدَّة والفعالية[4]، وبعد أن يبنى البيت من أساسه حتى الانتهاء منه ينطق صوت الدال بالتصاق اللسان بأصول الثنايا العليا ثم مفارقتها فهذا يدل على البناء الذي التصق بالأرض من جذره حتى تطاول ففارقها وابتعد عنها.

أما بالنسبة للمرأة القاعد فصوت الألف يدل على الراحة وهذا يجسد راحتها ـفي حال كونها قاعد بعد التعبـ فهي عندما تصل سن القواعد تكون قد عملت في حياتها كثيرًا حتى أصابها من التعب ما يجعلها بحاجة للراحة وهذا متجسد في حرف الألف، ويدل اللام على الضم والجمع، وهذا يدل على أن المرأة بعد

(١) ينظر: علم الأصوات اللغوية:٨٤.

(٢) ينظر: المواءمة والمفارقة:٢٣١.

(٣) ينظر:علم الأصوات اللغوية لمناف الموسوي:٨٣.

(٤) ينظر:المواءمة والمفارقة:٢٢٩.

وصولها سن القواعد كأنها تجتمع على نفسها وحياتها تضم نفسها فقط بلا زوج، أما حرف القاف، فيدل على القوة والشدة، ويتجسد فيه قوة المرأة التي تذوي شيئًا فشيئًا حتى تكون قاعد، كما يدل الواو على الحرية والانعتاق وهذا يدل على تخففها من أعباء العمل والحياة ومتطلباتها فتكون في حرية من أمرها في الوقت الذي كَبُر أولادها وكل منهم يكون في مرحلة الشباب مسؤولًا عن حياته تكون هي قد أنهت رسالتها تجاههم وتحررت من مسؤولياتهم، فيتبع الواو ألفًا آخرًا يجسد الحرية مرة أخرى ويؤكد عليها، أما العين فهو صوت رخو يتجسد فيه ضعف المرأة وهي في هذه السن كما ويدل معناه على القوة والشدة أيضًا، فيمثل شدة تعبها ووهنها، أما صوت الدال فيدل أيضًا على الشدة والقوة كما وفي مخرجه التصاق يتجسد فيه كثرة جلوس المرأة في مجلسها فتكون قاعدًا كأنها ملتصقة في مكانها لكثرة قعودها وقلة حركتها وهذا يجسده حرف الدال.

المطلب الثالث: المستوى الصرفي:

بعدما تجتمع الحروف يتكون البناء الصرفي، ولفظة (القَوَاعِد) بناء مزيد غير مجرَّد زِيدَ لغرض الجمع، وقد زيدت عليه ثلاثة من حروف الزيادة وهي:(الألف واللام والواو) إذ أنَّ أصل اللفظة الفعل المجرَّد (قَ عَ دَ)، أمّا (القَوَاعِد) فهي صفة و الصفات تُجمَع جمعًا سالمًا أو جمع تكسير، ولأنَّ مفرد (القَوَاعِد) (قَاعِدَة و قَاعِد) على وزن (فَاعِلَة وفَاعِل) صفة مفردة جُمِعَت جمع تكسير على وزن (فَوَاعِل)، و(فَاعِلَة) وصفًا تُجمع على (فُعَّل) أيضًا، والفرق بين (فُعَّل) و(فَوَاعِل) أنَّ (فُعَّل) فيه عنصر الحركة بخلاف (فَوَاعِل) الذي ليس فيه هذا العنصر بل هو أقرب للإسمية وأدلُّ على الثبوت فهو وزنٌ لجمع الأسماء أكثر مما هو لجمع الصفات، أي: جمعُ القَوَاعِد للإسم المفرد قَاعِدَة أقرب مما هو لجمع الصفة المفردة قَاعِد. وهناك فرقٌ بين قَاعِدَةُ البناء أي: أساسُه، وبين المرأةُ القَاعِد كطامِث وحائِض، فقَاعِدَةُ البناء تُجمعُ على وزن (فَوَاعِل)، والمرأةُ التي قعدت عن الولد أو الزوج هيَ قَاعِدٌ تُجمع على وزن (فَوَاعِلَ) أيضًا. وزنُ الجمعِ واحدٌ لكن مفرده يختلف بسبب معناه[1].

ودلالة البناء ذكرها الدكتور فاضل صالح السامرائي حفظه الله في كتابه معاني الأبنية في العربية قائلًا:» فهذا البناء (فَوَاعِل) ليس فيه عنصر الحركة الذي في (فَعَّل) فنحن إذا أردنا تكثير القيام بالفعل أو الدلالة على الحركة الظاهرة جمعناه على (فَعَّل) وإلا جمعناه على (فَوَاعِل)؛ ولذا يقول العرب: الزواجر والنواهي والصواعق والخوالف والنوازل والعواصم والقواصم والدواهي والقوافي ورجال عوارف جمع عارفة وبواقع

(١) ينظر:معاني الأبنية في العربية للدكتور فاضل السامرائي:١٤٨، ١٥٥.

ودواهٍ جمع باقعة وداهية ولا يجمعونها على (فَعَّل) لأنهم يريدون بذلك الاسمية أو القرب من الاسمية»[1].

ذكر الدكتور فاضل أنَّ بناء (فَوَاعِل) ليس فيه عنصر الحركة وهذا المعنى له ارتباطٌ وثيق بلفظة (القَوَاعِد)، فالقاعدة هي الأساس، وأساس بيت الله ثابت منذ الأزل لم يتزعزع أعني بذلك: قَوَاعِدَ البيت الحرام، وكذا آساسُ بيوتات الإنسان. يشق الإنسان أساس بيته والآساسُ ثوابت، فنرى أنَّ معنى البناء ناسب المعنى الذي دلَّ عليه أساس بيت الله الحرام في علم النص وعلم الإنسان، فسبحان من رفع ذكر بيته وثبَّتَ قَوَاعِدِهِ إلى قيام الساعة، أما عن أساسُ بيت الإنسان فثابتٌ بعلم الهندسة لدى الإنسان ولكن إن إراد أن يأتي أيَّ قَاعِدَةٍ من القَوَاعِد لأيّ بناءٍ من الأبنية فستخِرُّ لا محالة وعندها تزول الأُسُسِ الثوابت بأمرٍ واحدٍ من الله الواحد الأحد، فلا يفيد عدم وجود عنصر الحركة المتجسد في القاعدة الراسخة في الأرض ولا ذلك المتجسِّدُ في بناء (فَوَاعِل) أحد صيغ جمع التكسير.

أما عن المرأة القَاعِد التي جُمِعَت على (قَوَاعِد)، فالمرأةُ التي بلغت من العمر عتيًّا وهي قَاعِدٌ عن الولد أو الزوج كيف يكون حالها؟ هل فيه حركة؟ بالطبع لا. إذ أنَّ المرأة وهي على تلك الحال تكثر من القعود فيكون حالها في ركود دائم فوصف جمعها بصيغة (فَوَاعِل) الذي يدل على الركود وعدم توافر عنصر الحركة في هذا البناء حتى يتناسب معنى البناء مع الحال.

المبحث الثاني: المستوى التَّركيبي، والبلاغي، والسِّياقي للفظة القَوَاعِد.

في هذا المبحث سأتحدّث عن المستوى التركيبي أي: النحوي للفظة القَوَاعِد حسب ورودها في الآيات الكريمات، إذ أنَّ في كل آية جاءت لفظة القَوَاعِد بموقع إعرابيّ يختلف عن الآخر، ولمواقعها المختلفة جاءت حركاتها الإعرابية مختلفة، ففي سورة البقرة جاءت لفظة القَوَاعِد في موضع النَّصب مفعولًا به ظاهرًا منصوبًا بالفتح، وفي سورة النحل جاءت لفظة القَوَاعِدِ في موضع الخفض مجرورة بحرف الجر، أما في سورة النور فقد جاءت اللفظة في موضع الرَّفع مبتدأٌ مرفوع بالضَّم، وكذا عن المستوى البلاغي إذ سأُبيّن ما المعاني البلاغية المنطوية تحت كُلِّ آيةٍ من الآيات الثلاث، وما فيهن من صور بلاغية تجسَّدَت في اللفظة وآياتها، ثم المستوى السياقي الذي سأُبيّن فيه سبب نزول تلك الآيات وما السياق الذي يدور حوله فلك الآيات، وما في الآيات السابقة واللاحقة من معانٍ أضافتها للآيات وأغنتها على ما فيها من غنى، وفي كل مستوىً أبيّنُ دلالته من حيث أوليَّاته.

(١) معاني الأبنية في العربية:١٥٦.

المطلب الأول: المستوى التَّركيبي (النَّحوي):

قسَّمتُ هذا المطلب ثلاثة أقسام حسب الآيات التي وردت فيها اللفظة، وجعلتُهُ للمستوى النحوي؛ لأبين تركيب الآيات وإعرابها مفصَّلًا، حيث جاءت اللفظة في مواقع إعرابية مختلفة وسنرى ذلك.

أوَّلًا: قال تعالى:﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (سورة البقرة: الآية: ١٢٧).

قال أبو البقاء العكبري: «﴿ مِنَ ٱلْبَيْتِ ﴾ في موضع نصب على الحال من ﴿ ٱلْقَوَاعِدَ ﴾ أي: كائنة ﴿ مِنَ ٱلْبَيْتِ ﴾ ويجوز أن يكون في موضع نصب مفعولًا به بمعنى رفعها عن أرض البيت و﴿ ٱلْقَوَاعِدَ ﴾ جمع قاعدة وواحد قواعد النساء قاعد ﴿ وَإِسْمَٰعِيلُ ﴾ معطوف على ﴿ إِبْرَٰهِـۧمُ ﴾، والتقدير: يقولان ربنا، ويقولان هذه في موضع الحال، وقيل:﴿ وَإِسْمَٰعِيلُ ﴾ مبتدأ والخبر محذوف، تقديره: يقول: ربنا؛ لأن الباني كان إبراهيم والداعي كان إسماعيل»[1].

وذكر أبو حيَّان الأندلسي قوله تعالى﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ﴾أنَّ هذه الجملة معطوفة على ماقبلها، وهي من الأدوات المخلصة للمضارع إلى الماضي؛ لأنَّها ظرف لما مضى من الزمان، ويرفع في معنى رفع، والرفع حالة الخطاب قد وقع، من البيت هو الكعبة، والقواعد هي الأساس أو الجُدُر، فإن كانت الأساس، فرفعها بأن يُبنى عليها فتنتقل من هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع، وتتطاول بعد التقاصر، ومن البيت يحتمل أن يكون متعلِّقًا بيرفع، ويحتمل أن يكون في موضع الحال من القواعد، فيتعلق بمحذوف تقديره: كائنة من البيت. ولم تضف القواعد إلى البيت، فكان يكون الكلام قواعد البيت، لما في عدم الإضافة من الإيضاح بعد الإبهام وتفخيم شأن المبين. وإسماعيلَ معطوف على إبراهيم، فهما مشتركان في الرفع، ومن جعل الواو في إسماعيل واو الحال أعرب إسماعيل مبتدأ وأضمر الخبر، التقدير وإسماعيل يقول ربنا تقبل منا، فيكون إبراهيم مختص بالبناء وإسماعيل مختص بالدعاء، ومن ذهب إلى العطف جعل ربنا تقبل منا معمولًا لقول محذوف عائد على إبراهيم وإسماعيل معًا، في موضع نصب على الحال تقديره: وإذ يرفعان القواعد قائلين ربنا تقبل منا. ويؤيد هذا التأويل أنَّ العطف في وإسماعيل أظهر من أن تكون الواو واو الحال، وفي ندائهما بلفظ ربنا تلطُّف واستعطاف بذكر هذه الصفة الدالة على التربية والإصلاح بحال الداعي، وفي إنك أنت السميع العليم: يجوز في أنتَ الابتداء والفصل والتأكيد؛ إذ صدر منهما عمل وتضرُّع سؤال، فهو السميع لضراعتهما وتسآلهما التقبل، وهو العليم بنياتهما في إخلاص عملهما[2].

(١) التبيان في إعراب القرآن: ١٠٢.

(٢) ينظر:البحر المحيط: ١: ٥٥٨، ٥٥٩، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون:٢: ١١٣ـ١١٥.

ثانيًا: قال تعالى:﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (سورة النَّحل: الآية: ٢٦).

قال العكبري:» ﴿ مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ ﴾أي: من ناحية القواعد والتقدير: أتى أمر الله.

﴿ مِن فَوْقِهِمْ ﴾ يجوز أن يتعلق ﴿ مِنْ ﴾ بـ((خَرَّ))، وتكون ﴿ مِنْ ﴾ لابتداء الغاية، وأن تكون حالًا أي: كائنًا من فوقهم، وعلى كلا الوجهين هو توكيد»[1].

وذكر محمود صافي أنَّ: «قد حرف تحقيق (مَكَرَ) فعل ماضٍ (الذين) اسم موصول في محل رفع فاعل (من قبلهم) جار ومجرور متعلق بمحذوف صلة الموصول و(هم) ضمير مضاف إليه (الفاء) عاطفة (أتى) ماضٍ مبني على الفتح المقدَّر (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع وهو على حذف مضاف أي أتى أمر الله (بنيانهم) مفعول به منصوب و(هم) مثل الأخير (من القواعد) جار ومجرور متعلق بـ(أتى) أي من ناحية القواعد (الفاء) عاطفة (خرَّ) مثل مكر (على) حرف جر و(هم) ضمير في محل جرَّ متعلق بـ(خرَّ)، (السقف) فاعل مرفوع (من فوقهم) جار ومجرور حال من السقف وهو توكيد لما قبله و(هم) مثل الأخير (الواو) عاطفة (أتاهم) مثل الأول و(هم) ضمير مفعول به(العذاب) فاعل مرفوع (من) حرف جر (حيث) اسم مبني على الضم في محل جر متعلق بـ(أتاهم)، (لا) نافية (يشعرون) مضارع مرفوع و(الواو) فاعل»[2].

ثالثًا: قال تعالى: ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (سورة النُّور: الآية: ٦٠).

قال النَّحَّاس: «﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ جمع قاعد بحذف الهاء، وفيه ثلاثة أقوال: مذهب البصريين أنَّهُ على النَّسب، ومذهب الكوفيين أنه لما كان لا يقع ألا للمؤنث لم يُحتَج فيه إلى الهاء، والقول الثالث أنه جاء بغير هاء تفريقًا بينه وبين القاعدة بمعنى الجالسة﴿ فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ﴾

على الحال، أي لا يَردنَ أن يُظهرنَ زينتهن للرجال»[3].

وقال العكبري: «﴿ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ حال، و﴿ ٱلَّٰتِى ﴾ صفة، والخبر﴿ فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ ﴾ ودخلت الفاء لما في المبتدأ من معنى الشرط؛ لأن الألف واللام بمعنى الَّذي﴿ غَيْرَ ﴾ حال»[4].

---

(١) التبيان في إعراب القرآن: ١١٣، وينظر:الدر المصون:٧: ٢٠٩.

(٢) الجدول في إعراب القرآن:١٤: ٣٠٤.

(٣) إعراب القرآن:٥٩٣.

(٤) التبيان في إعراب القرآن:٢٧١.

وذكر السمين الحلبي أنَّ: «التَّبرُّج: الظهور، من البُرج: وهو البناء الظاهر، و﴿ بِزِينَةٍ ﴾ متعلق به، وقوله: ﴿ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ ﴾ مبتدأ بتأويل: استعفافهن، و﴿ خَيْرٌ ﴾ خبرُه»[1].

المطلب الثاني: المستوى البلاغي:

في هذا المطلب سأتحدث عن الفنون البلاغية التي وردت في الآيات الثلاث حسب علم المعاني والبيان والبديع -إن وجد-، وما فيها من استعارات وكنايات وتعليل ومجاز وهو الأشهر الظاهر في الآيات.

أوَّلًا: قال تعالى:﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (سورة البقرة: الآية: ١٢٧).

بيَّنَ ابن عاشور التونسي الوجوه البلاغية في هذه الآية وهي[2]:

١ـ الاستعارة التبعية: مخالفة الأسلوب الذي يقتضيه الظاهر في حكاية الماضي أن يكون بالفعل الماضي بأن يقول: وإذ رفع إلى كونه بالمضارع لاستحضار الحالة وحكايتها كأنّها مشاهدة؛ لأنّ المضارع دالٌّ على زمن الحال، فشبَّهَ الماضي بالحال؛ لشهرته وتكرر الحديث عنه بين المسلمين، وحُبِّهم لسيدنا إبراهيم لايزالون يذكرون مناقبه وأعظمها بناء الكعبة؛ فشبَّه الماضي لذلك بالحال، ولأنَّ ما مضى من الآيات في ذكر إبراهيم من قوله :﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ ﴾ إلى هنا مما يوجب امتلاء أذهان السامعين بسيدنا إبراهيم وشؤونه كأنَّهُ بينهم وأحوالَه حاضرة مشاهدة، وكلمة (إذ) قرينة على هذا التنزيل؛ لأنَّ غالب الاستعمال أن يكون للزمن الماضي وهذا معنى قول النحاة أنَّ إذ تَخلُصُ المضارع إلى الماضي.

٢ـ المجاز المرسل: في لفظة (القَوَاعِد) التي هي جمع قاعدة وهي أساس البناء الموالي للأرض الذي به ثبات البناء أُطلق عليها هذا اللفظ؛ لأنَّها أشبهت القاعد في اللصوق بالأرض، فأصل تسمية القاعدة مجاز عن اللصوق بالأرض ثم عن إرادة الثبات في الأرض وهاء التأنيث فيها للمبالغة مثل هاء علامة.

٣ـ الكناية: في رفع القواعد، وإبرازها من الأرض، والاعتلاء بها لتصير جدارًا؛ لأنَّ البناء يتصل بعضه ببعض ويصير كالشيء الواحد، فالجدار إذا اتصل بالأساس صار الأساس مرتفعًا، ويجوز جعل القواعد بمعنى جدران البيت كما سموها بالأركان ورفعها وإطالتها، وقد جعل ارتفاع جدران البيت تسعة أذرُع، وقد يعني اختيار مادة الرفع دون مادة الإطالة التشريف، وفي إثبات ذلك للقواعد كناية عن ثبوته للبيت.

٤ـ المجاز العقلي: إسناد رفع القواعد لسيدنا إبراهيم مجاز عقلي؛ لأنَّ إبراهيم سبب الرفع المذكور أي: بدعائه المقارن له، وعطف إسماعيل على إبراهيم تنويه لكونه معاونه ومناوله، والتفاوت بين عمل إبراهيم

(١) الدر المصون:٨: ٤٤٣، ٤٤٤.

(٢) ينظر:التحرير والتنوير:١: ٧١٧ـ٧١٩.

وإسماعيل أُوقِعَ العطف على الفاعل بعد ذكر المفعول، وهذا من خصائص العربية في أسلوب العطف، وذلك أنك إذا أردت أن تدل على التفاوت بين الفاعلين في صدور الفعل تجعل عطف أحدهما بعد انتهاء ما يتعلق بالفاعل الأول، وإذا أردت أن تجعل المعطوف والمعطوف عليه سواء في صدور الفعل تجعل المعطوف مواليًا للمعطوف عليه.

٥ـ حسن التعليل والقصر: لطلب التقبل منهما في قولهﷺ ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ وتعريف جزءَي الجملة والإتيان بضمير الفصل يفيد قصرَين للمبالغة في كمال الوصفين له تعالى بتنزيل سمع وعلم غيره منزلة العدم، ويجوز أن يكون قصرًا حقيقيًا باعتبار متعلق خاص أي: السميع العليم لدعائنا لا يعلمه غيرك وهذا قصر حقيقي مقيد وهو نوع مغاير للقصر الإضافي لم ينبه عليه علماء المعاني.

ثانيًا: قال تعالى:﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (سورة النَّحل: الآية: ٢٦).

الاستعارات الواردة في هذه الآية هي[1]:

١ـ الاستعارة التمثيلية: في قوله ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾استعارة تمثيلية بيَّنت حال استئصال الأمم، فالبنيان مصدر بمعنى المفعول أي: المبني، وهو هنا مستعار للقوة والعزة والمنعة وعلو القدر.

٢ـ استعارة تخييلية أو ترشيحية: القواعد التي هي الأُسُس والأساطين التي تُجعَل عُمُدًا للبناء يُقام عليها السقف، وهو تخييل أو ترشيح إذ ليس في الكلام شيءٌ يُشَبَّه بالقواعد.

٣ـ الاستعارة التبعية والأصلية: في قوله ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ﴾ التبعية في الخرور: السقوط والهوي، ففعل خرَّ مستعار لزوال ما به المَنَعَةُ، والأصلية في السقف حقيقته غطاء الفراغ الذي بين جدران البيت، يُجعَلُ على الجدران ويكون من حجر ومن أعواد وهو هنا مستعار لما استعير له البناء.

ومن مجموع هذه الاستعارات تتركب الاستعارة التمثيلية ، وهي تشبيه هيئة القوم الذين مكروا في المَنَعَة فأخذهم الله بسرعة وأزال تلك العزة بهيئة قومٍ أقاموا بنيانًا عظيمًا ذا دعائم وآووا إليه فاستأصلهُ الله من قواعدهِ فخرَّ سقف البناء دفعةً على أصحابه فهلكوا جميعًا، والمعنى أنَّ العذاب المذكور حلَّ بهم بغتةً وهو لا يشعرون فإن الأخذ فجأة أشدُّ نكايةً لما يصحبه من الرُّعب الشَّديد بخلاف الشيء الوارد تدريجيًّا فإنَّ النفس تتلقاه بصبر.

(١) ينظر:التحرير والتنوير:١٤: ١٣٤، ١٣٥.

ثالثًا: قال تعالى: ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (سورة النُّور: الآية: ٦٠).

هناك استعارة واحدة في هذه الآية الكريمة وهي:

قال ابن عاشور: «القواعد جمع قاعد بدون هاء تأنيث مثل: حامل وحائض؛ لأَنَّهُ وصف نُقِلَ لمعنى خاص بالنساء وهو القعود عن الولادة وعن المحيض فاستعير القعود لعدم القدرة؛ لأنَّ القعود يمنع الوصول إلى المرغوب وإنَّما رغبة المرأة في الولد والحيض من سبب الولادة، فلما استعير لذلك وغُلِّبَ في الاستعمال صار وصف قاعد بهذا المعنى خاصًّا بالمؤنث فلم تلحقه هاء التأنيث لانتفاء الداعي إلى الهاء من التفرقة بين المذكر والمؤنث»[1].

المطلب الثالث: المستوى السِّياقي:

في هذا المستوى سأتناول الآيات الثلاث الواردة فيها لفظة القواعد بالدراسة السياقية، وهو تبيين سياق الآية الذي وردت فيه وتفسير موضوعها ومقطعها الذي وردت فيه، والمرور بالمقطع السابق واللاحق للآية؛ ليكون الترابط واضح بين الآيات.

أوَّلًا: قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (سورة البقرة: الآية: ١٢٧).

وردت هذه الآية في سورة البقرة وهي مدنيَّة[2] وآياتها مئتان وست وثمانون آية، وهي في سياق الحديث عن دعوة سيدنا إبراهيم (عليه السلام) لأهل مكة حيث قال ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾، إذ أجاب الله دعوة نبيه فجعل هذه البلاد آمنة وأهلها آمنين، وخصَّ بدعوته الرزق للمؤمنين المقيمين بمكة فمن صدَّق منهم بالله واليوم الآخر ولم يشرك به رزقه الله تحقيقًا لدعوة سيدنا إبراهيم واستجابة له، أما من كفر فيرزقه الله كما يرزق المؤمن لكنه يمتعه في الدنيا قليلًا حتى يموت على الكفر فيلجؤه الله إلى عذاب النار ويا له من مصير بائس[3]، وقد اختصَّ الله هذه البلاد أن جعل فيها قبلة المسلمين كافة وهي الكعبة المشرَّفة، فوردت الكثير من التفسيرات حول البيت الحرام وبنائه[4] لا يتسع البحث لذكرها، والقول الصواب أنَّ

(١) ينظر:التحرير والتنوير:١٨: ٢٩٧.

(٢) ينظر:البرهان في علوم القرآن للزركشي:١: ١٩٤.

(٣) ينظر:تفسير مقاتل بن سليمان:١: ٧٧، وبحر العلوم للسمرقندي:١: ١١٩.

(٤) ينظر:جامع البيان للطبري:٣: ٥٧ـ٦٤، وكتاب تفسير القرآن للنيسابوري:١: ٢٩٨، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم:١: ٢٣٣.

إبراهيم و إسماعيل(عليهما السلام) رفعا قواعدَ البيت معًا، و إن تفرَّدَ إبراهيم في البناء و إسماعيل يناوله، فالرفع مشترك بينهما، فكان من أحدهما البناء، ومن الآخر نقل الحجارة ومعونة وضعها في مواضعها، ولا تمتنع العرب من نسبة البناء إلى من كان بسببه البناء ومعونته[1]، وقيل أنَّ القواعد في الأرض السابعة[2]، فكان إسماعيل يناول الحجر لإبراهيم ومعهم الملائكة ينقلون الحجر من خمسة جبال وهي طور سناء وزيتاء والجودي ولبنان وحراء[3]، فرُفعت قواعد البيت ومعنى الرفع هنا نوعان: الأول هو تطاولها بالبناء فترتفع عندما يوضع الحجر فوق الحجر، والآخر هو رفعُ الله قدر البيت ومكانته وتعظيم شأنه فالرفع رفعان رفع حقيقي وآخر معنوي[4]، ولما فرغا من بناء البيت قالا ربنا تقبل منا أي: تقبل هذا العمل وهو بناؤهما للبيت إنَّك أنت السميع لدعائنا العليم بنياتنا[5]، ثم استرسلا في إتمام الدعاء أن قالا: ﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾، أي اجعلنا خاضعين لأمرك، مستسلمين لك، لا نشرك معك في الطاعة أحدًا، فالمسلم هو الذي استسلم لأمر الله سبحانه، والمؤمن هو من أظهر القبول لأمره سبحانه وأضمر مثل ذلك[6]، وفي قوله ومن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسلِمَةً لك كل قوم نسبوا إلى نبي فأُضيفوا إليه فهم أُمَّتُه، وكل جيل من الناس أُمَّةٌ على حدة، والأُمَّة هم تُبَّاع الأنبياء، وقد خصَّا بدعوتهما بعض الذُّرِّيَّة؛ لأنَّ الله تعالى أعلمهما أنَّ في ذُرِّيَّتهما من لا ينال العهد[7]، وأرنا مناسكنا أي: عرِّفنا متعبَّداتنا[8]، وشرائع ديننا وأعلام حجِّنا، وتجاوز عنَّا[9]، بالتوبة على ما فرط منا من الصغائر، أو توبةً لذرِّيَّتِنا، وابعث فيهم في الأُمَّة المسلمة رسولًا منهم من أنفسهم، وروي أنَّهُ قيل له: قد استجيب لك وهو في آخر الزمان، فبعث الله فيهم محمدًا (صلى الله عليه وسلم)[10].

وفي هذا إشارة إلى أنَّ قواعد البيت موجودة أصيلة راسخة في الأرض منذ خلقها الله أَسَّسَ لبيته أساساته؛ لبيِّنَ عمق هذا الدين إذ أنَّ أساس قبلته مخلوق منذ القِدَم؛ ليظهر عمق الدين الحنيف الذي كانت قبلته متجذرة في عمق الأرض لكنها دُرِسَت بتقادُم السنين عليها حتى جاء زمن سيدنا إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام فرفعاها وتطاولت حتى أصبحت الكعبة الشريفة التي نعرفها اليوم، ولكل بيت

(١) ينظر:جامع البيان للطبري:٣: ٧٢.
(٢) ينظر:تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم:١: ٢٣١.
(٣) ينظر:بحر العلوم للسمرقندي:١: ١١٩.
(٤) ينظر:تفسير ابن فورك:١: ١٥٠.
(٥) ينظر:الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي:١: ٢٧٥.
(٦) ينظر:الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب القيسي:١: ٤٤٢.
(٧) ينظر:التفسير الوسيط للواحدي:١: ٢١١.
(٨) ينظر:التفسير الوجيز للواحدي:١: ١٣٢.
(٩) ينظر:معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي:١: ١٥١.
(١٠) ينظر:الكشاف للزمخشري:١: ١٨٨.

يُبنى قواعد ولكن شتان بين قواعد بيت الله الأصيلة منذ بدء الخلق متجذرة في الأرض وبين قواعد بيوت الإنسان التي تكون مستحدثة بلا قيمة تذكر لها مهما تطاولت وبذلت فيها الأموال الطائلة تبقى عادية جدا تجري من تحتها مياه الصرف الصحي، ولا مقارنة بين المعنى المنطوي تحت أصالة أساس بيت الله الحرام وبين حداثة أساس بيت الإنسان فسبحان من رفع شأنَ قواعد بيته وحطّ ما سواه من قواعد. لم يكن بالأمر السهل أن توكل إلى النبيَّين هكذا مهمة وهي رفع أساس بيت الله الحرام رفعُ قبلة الدين الحنيف، إذ فيه من الجهد الكبير ما فيه لدرجة أن الله أشركَ الملائكة معهم في بناء البيت الحرام، لكن مع ذلك يسألان الله القبول منهما وهما أنبياء وبذلا من الجهد والتعب الكثير مع ذلك يطلبان من ربهما تقبل ذلك العمل على عِظَمِه إلَّا أنهما يخافان عدم قبول الله لعملها ويثنيان على الله بأسمائه الحسنى يبرران لله صدق نيتهما وصلاح سريرتيهما في العمل الخالص لوجهه بقولهما السميع العليم أي: تسمع ما نحدث به أنفسنا في العمل وتعلم النية التي دفعتنا له، ثم يستمران بالدعاء فلا يريدان أن يبقى الإسلام منحصرًا عليهما فقط بل يسألان الله بقاءهما على الإسلام علاوة على ذلك إسلام ذريتهما، ولكن قالا: ومن ذريتنا...، من هنا للتبعيض؛ لذكر الله لهما أنه من ذريتهما من لا يبقى العهد فينحرف منعطفًا عن تلك الحنيفية فلا تطالهم رحمة الله ولا يشملهم فضله في الدنيا بالتعرف عليه ولافي الآخرة بالفوز بجنته، ولكن يرجوان الله أن يخرج من ذريتهما أُمَّة مسلمة لله وقد استجاب الله لهما إذ نحن أُمَّتهم ونرجو أن نكون ضمن تلك الذرية المنقادة لله، وقد سألا الله بأن يريهما تلك المناسك والشعائر التي تخص شريعتهم، ثم سألاه التوبة لعلمهما بعدم كمال الإنسان إذ يبقى يتقلب بين التعثر والاستقامة فيعصي ويتوب من الذنب ثم يعود إليه ويتوب؛ لذا سألاه التوبة وأثنيا عليه بصيغة المبالغة فعَّال التَّوَّاب وفعيل رحيم، فسبحان من هو توَّابٌ علينا رحيمٌ بنا.

ثانيًا: قال تعالى:﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (سورة النَّحل: الآية: ٢٦).

ذكر الله تعالى هذه الآية في سورة النَّحل وهي مكيَّة إلَّا خمس آيات[1]، وآياتها مئة وثمان وعشرون آية[2]، سبقت هذه الآية سلسلة من آيات الحديث عن المشركين حتى ذكر تعالى أنهم يحملون وزر أعمالهم وأوزار من يضلون من الناس بشركهم[3] ،أما الآية التي وردت فيها لفظة القواعد فسياقها عن النمرود وقومه حين رجفت بهم الأرض فأُهلكوا، فكان مكرهم قبل مكر المشركين إذ راموا مغالبة الله ببناء بَنَوه، يريدون بزعمهم الارتفاع إلى السماء لحرب من فيها!، وكان الذي رام ذلك جبار من جبابرة

(١) ينظر:المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي:٣: ٣٧٤.

(٢) ينظر:تفسير مقاتل بن سليمان:٢: ٢١٣.

(٣) ينظر:الكشف والبيان عن تفسير القرآن:٦: ١٣.

النِّبط، فقيل: هو نمرود، أو بختنصر[1]، والأرجح هو نمرود بن كنعان الذي تجبَّر في الأرض أربعمئة سنة، فعذبه الله وبعث الله عليه بعوضة دخلت منخره، فمكث أربعمئة سنة يضرب رأسهُ بالمطارق، وأرحم الناس به من يجمع يديه فيضرب رأسه بهما، وهو الذي بنى صرحًا ببابل طوله خمسة آلاف ذراع، وقيل فرسخان، فأهب الله الريح فخرَّ عليه وعلى قومه فهلكوا[2]، ولكل بيت، أو صرح يبنى أساس، فأتى الله أساس صرحه أي: عذاب الله له تجسد بإتيان صرحه من قواعده، والقواعد هي أساطين البناء الذي تعمده[3]، فيكون مثل الاستئصال، والعرب تقول ذلك إذا استؤصل الشيء، وهذا يعني أنَّ الله استأصلهم، فخر السقف عليهم، والعقل بالمنطق والبداهة يُدرك ذلك، إذ أنَّ أي صرحٍ يُرجى هدمه ينبغي له أن تُضرَبَ قواعده لينهدم كُليًّا، وكذا ما حصل للنمرود إذ أتى الله قواعد صرحه، ولم يقل ضرب، أو قصد بنيانهم، بل جاء بلفظ الإتيان الذي يكون فيه تدبير ومعرفة تامة لما يحصل وبتركيز عالٍ، فكأنَّ الإتيان هذا مُشَبَّه برجل يمشي على أطراف أقدامه وبحذق يضرب القاعدة لينهار كل شيء دفعة واحدة، فأتى الله بنيانهم من أصول قواعدها فخر عليهم السف وهنا جاء بحرف العطف الفاء التي تدل على الترتيب والتعقيب إذ أنَّ القاعدة عندما تُؤتى فمن الطبيعي يخر كل شيء دفعة واحدة ولكن الأحجار اللاصقة فوق القواعد هي التي تنهار بعد القاعدة، فالتي فوقها، ثم التي فوقها فهنا فائدة حرف الفاء؛ لأنه جاء لبيبن الترتيب والتعقيب في الخرور، والإشارة مهمة إلى خرور السقف عندما تنهار القاعدة وما فوقها، وهم في الداخل أي أنَّ نمرود وقومه كانوا في داخل الصرح وأُتِيَت قواعده فخر السقف عليهم فقتَّلهم وأزهق أرواحهم وهم فيه، وهذا الحال متجسد في إتيان العذاب لهم وهم لا يحسبون أنه آتيهم فهو توضيح لقوله وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون، أي: وكأنَّهُ مباغته، هذا في سياق الحديث عن العذاب لينتقم الله من الطاغية المتجبر، ورأيتُ مشاهد قصف اليهود لبيوت الفلسطينيين كيف يأتون المباني من قواعدها فتحدث الكوارث وتفيض أرواحهم الطاهرة، وهذا الموقف في سياق الترقية والاصطفاء لشعب فلسطين، ذكرت ذلك؛ لأُبيِّن الرؤية العقلية الواضحة التي تكون واحدة في إتيان القواعد سواء أكان من قبل الله أو البشر ولكن حجم الدمار الناجم عن قوة الله وقوة البشر هنا يكون الحد الفاصل بينهما، فشتان بين من تؤتى قواعد صرحه وبنيانه ليُعَذَّب، ويُسحَق ويُنتَقَمُ منه، وبين من تؤتى قواعد بيته ليكون شهيدًا عند الله ويحشر مع النبيين والصِّدَّيقين والشهداء والصالحين، كيف يشعر من تؤتى قواعده للانتقام منه من قِبَل الله، ومن تؤتى قواعده ليرتقي شهيدًا بأمر الله، ذاك يشعر بألمٍ فظيع وهذا لا يطاله من الألم إلا كوخز إبرة، أما بالنسبة لتطور علم الهندسة

(١) ينظر:جامع البيان للطبري:١٧: ١٩٢.

(٢) ينظر:الكشاف للزمخشري:٢: ٦٠٢.

(٣) ينظر:الكشاف للزمخشري:٢: ٦٠٢.

لدى الغرب وبلاد اليابان الذين تكثر لديهم الكوارث الطبيعية والزلالزل فقد ابتكروا اللفائف الحديدية الضخمة التي يضعونها في قواعد مبانيهم لتفادي انهيار أبنيتهم وتلافي الكوارث والحوادث، فتأتي الزلازل لتتأرجح المباني على ضخامتها ولا تنهار لوجود قواعد اللفائف في أساسها، ولكن رغم ذلك لا يعجز الله شيئًا إن أمر بانهيار المبنى فسينهار حتمًا لا محالة، فلا تنفع اللفائف ولا ضخامتها تقف أمام إتيان الله لأي قاعدة من القواعد.

وإن أردنا أن نُشير إلى إبداع الله في لفظة القواعد ننظر إلى الآيتين، فآية سورة البقرة التي وردت بها لفظة القواعد تضدُّ هذه الآية التي هي في سورة النحل، ذكرتُ سابقًا أن اللفظة واحدة، لكن المعاني التي تنطوي تحتها كثيرة، وذكرتها، وأضيف لها معنى التضاد إذ أنها في سورة البقرة وردت بمراد يبين أهميته وعمقه وأساسه المتجذر يضده ما في سورة النحل من انهاء وإزالة وسحق ومحق لتلك القاعدة، يزيد عليها معنى رسوخ كل أمرٍ صالح وامتداده وبقائه وعدم إزالته كثبات قاعدة بيت الله الحرام التي هي قبلة المسلمين، والتي منها تنبثق كل القواعد الصالحة، ويقابله زوال كل باطل أعوج همجي مهما علا وارتفع وتطاول حقيقةً ومعنى يؤكد انتهاء واندثار كل قاعدة و إن كانت ثابتة على وجه الحقيقة لكن قيامها مبني على باطل أعوج فأمر الله آتيها لا محالة ولا بقاء لها مهما طال أمرها.

وبعد ذلك الهوان في الدنيا والإتيان والأخذ الشديد يذلهم يوم القيامة مع ما فعل بهم في الدنيا، ويقول لهم أين شركائي الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم شركاء لي وتحاربون من أجلهم، أين هم ألا ينقذوكم من العذاب؟ فيردد الذين أوتوا العلم أنَّ الذُّل والهوان على الكافرين[1].

ثالثًا: قال تعالى: ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (سورة النُّور: الآية: ٦٠).

هذه الآية في سورة النُّور وكلُّها مدنيَّة[2]، وآياتها أربعٌ وستون آية، وسياق هذه الآية ضمن الأحكام التي فيها تخفيف على المرأة القاعد، وسبقها سياق الحديث عن التعامل مع الأطفال إذا بلغوا سن التكليف، فيجب تعليمهم آداب الاستئذان، وهذه تكون مرحلة التطبيق لأن قبلها منذ الطفولة إلى البلوغ هي مرحلة تعليم مستمرة إلى أن يترسخ مفهوم الاستئذان في عقل الطفل، يبين الله لنا هذه الأحكام؛ لأنه العليم بأحوالنا الحكيم فيما يأمرنا به وينهانا عنه فلكل أمرٍ أمرنا به حكمة عظيمة هو يعلمها ونحن نجهلها وكذا كلُّ أمرٍ نهانا عنه لحكمةٍ، أمّا سياق الحديث عن قواعد النساء في هذه الآية فهو في النساء اللاتي قعدن عن الزوج والولد؛ لِكِبَرِ سِنِّها، والمرأة عندما تصل إلى سن ينقطع عنها حيضها ولا تلد بعد فلا تُطلب

(١) ينظر:الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب القيسي:٦: ٣٩٨٠.

(٢) ينظر:المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي:٤: ١٩٣.

للنكاح عندما تصل هذه المرحلة، فلا يكون لها حاجة في الرجال ولا للرجال حاجة فيها، فإذا بلغن ذلك وضعن الخمار، غير متبرِّجات بزينة[1]، يبين الله تعالى جواز التخفيف عنها في أحكام ردائها، فالبنت عندما تصل سن التكليف يشترط عليها في الأسلام لباسًا معينًا له شروطه عند خروجها من منزلها؛ لكونها شابة مرجوة للزواج والولد، كي لا يطمع الذي في قلبه مرض، فكان في المدينة رجال من المنافقين إذا مرَّت بهم امرأة سيئة الهيئة والزيّ، حسب المنافقون أنها مزنية وأنها من بغيتهم، فكانوا يؤذون المؤمنات بالرفث ولا يعلمون الحرة من الأمة؛ فأنزل الله آية الحجاب في سورة الأحزاب، ويراد بها إذا كان زيّهنّ حسنًا لم يطمع فيهن المنافقون[2]، ولكن عندما تصل إلى تلك السن يبيح الله لها أن تجلس في بيتها بدرع وخمار، وتضع عنها الجلباب فلا تجلبب فوق الخمار ولا تتبرَّج لما يكره الله، وتتخفف منها، ولا بأس أن تضعه بحضرة غريب أو غيره بعد أن يكون عليها خمار صفيف[3]، ومع وصولها ذلك السن لا يجوز للرجال النظر إلى عوراتهن من شعر وغيره، وإن كنَّ لا يرغب في نكاحهن، والقواعد جمعٌ واحدتهن قاعد على فاعل بغير هاء حذفت عند البصريين على النسبة، وذكر الكوفيون أنه لما كان لا يقع إلا لمؤنث حذفت الهاء، وقيل حذفت منه الهاء ليفرق بينه وبين القاعدة التي هي الجالسة[4]، فهناك فرق بين قواعد البيت أساسه وقواعد النساء القاعد عن الولد والزوج وسميت قاعد؛ لقعودها عنهما؛ ولكثرة قعودها في المنزل فلا تعود مسؤولياتها كما كانت ولا تتحرك في منزلها كالسابق؛ لمرضها وذهاب قوتها، وقوله غير متبرِّجات، أي: غير مظهرات ولا متعرضات بالزينة ليُنظَرَ إليهن، والتبرُّج هو التَّكشُّف والظهور للعيون، ومنه: بروج مشيَّدة، وبروج السماء والأسوار، أي: لا حائل دونها يسترها[5]، وأن يستعففن خيرٌ لهن من الوضع؛ لأَنَّهُ أبعد من التُّهمة، والله سميعٌ لمقالتهن للرجال عليمٌ بمقصودهنّ[6]، والنِّساء في المجتمعات عندما يكبُرن لا يُلتَفَت لهنَّ بشدَّة كما إلى المرأة الشّابّة؛ لذلك هناك تكامل بين ما جاء في علم النَّصّ وما هو معلومٌ لدى الإنسان متعارف عليه، ثم كان السياق بعد آية قواعد النساء عن الأعمى والأعرج والمريض أن ليس عليهم حرج في الأكل من بيوتهم أو بيوت أقاربهم جميعًا أو أصدقائهم، ويبين آداب الدخول للبيوت والسلام على أهلها والجلوس للطعام مع بعضهم، هكذا يبين الله لنا آياته؛ ليكون هبة العقل الذي وهبنا إياه حجة لنا لا علينا في قوله لعلكم تعقلون.

---

(١) ينظر:جامع البيان للطبري:١٩: ٢١٧.

(٢) ينظر:جامع البيان للطبري:١٩: ٢١٦.

(٣) ينظر:تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم:٨: ٢٦٤١.

(٤) ينظر:الهداية إلى بلوغ النهاية:٨: ٥١٥٢.

(٥) ينظر:الجامع لأحكام القرآن:١٢: ٣١٠.

(٦) ينظر:أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي:٤: ١١٤.

الخاتمة

الحمدُلله رب العالمين والصلاة، والسلام على سيِّدنا محمَّد (صلَّى الله عليه وسلَّم) خاتم الأنبياء والمرسلين.

وبعد؛ بعد أن وفَّقني الله تعالى لإتمام هذه الرحلة المباركة الطَّيبة توصَّلتُ إلى النتائج الآتية:

١ـ جاءت لفظة القواعد في سورة البقرة بمعنى التعظيم والرفع الحقيقي والمعنوي باستعمال الفعل المجرد (رَفَعَ)، وفي سورة النحل بمعنى الهوان والـذُّل بمجيء الفعل المجرد (أَتَى)، فاللفظة واحدة واستعمالها واحد إذ هو للأساس ولكن الفعل والسياق أدّى معنىً جديدًا للفظة.

٢ـ في إتيان القواعد معنيَين مختلفين على أنَّ أمر الإتيان واحد لكن تحديد المعنى يكون ممن أُتيَ عليه، فلهُ تأثير بنوع تلك القاعدة.

٣ـ لفظة القواعد في سورة النَّور يختلف معناها تمامًا عن سورتي البقرة والنحل، حيث أنَّها جمع تكسير لصفة (قاعد) بخلاف السورتين التي معناها الأساس، وعلى الرغم من ذلك إلا أن بينهما معانٍ مشتركة.

٤ـ معنى صيغة (فَوَاعِل) زاد اللفظة ثراءً صرفيًا يوجب مجيئه بخلاف غيره إذ لو استعمل بغير صيغة لما تناسب المعنى مع السياقات الثلاثة البتة.

٥ـ صفات الحروف أفادت معانٍ جديدة على المعاني التي تجسَّدَت في الحرف مخرجه وصوته ومعناه.

قائمة المصادر والمراجع

- بعد القرآن الكريم.

١. إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع: لعبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم(ت٦٦٥هـ)، تح: إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي، د.ت.

٢. أحكام التلاوة والتجويد: لامتثال محمد صالح، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

٣. أحكام قراءة القرآن الكريم: لشيخ المقارئ المصرية محمود خليل الحصري (ت١٤٠١هـ)، ضبط نصَّهُ وعلَّقَ عليه: محمد طلحة بلال منيار، دار البشائر الإسلامية-المكتبة المكية.

٤. إعراب القرآن: لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل ابن النحَّاس (ت٣٨٨هـ)، تح: د.زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت-لبنان، ط/٢، ١٤٢٩ه-٢٠٠٨م.

٥. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: لناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٦٨٥هـ)، تح: محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط/١، ١٤١٨هـ.

٦. بحر العلوم: لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، تح: د.محمود مطرجي، دار الفكر-بيروت، د.ت.

٧. البحر المحيط: لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيّان الأندلسي، تح: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود والشيخ علي محمد معوض وزكريا عبدالمجيد النوقي، وأحمد النجولي الجميل، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط/١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٨. البرهان في علوم القرآن: لأبي عبدالله بدرالدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط/١، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.

٩. التبيان في إعراب القرآن: لأبي البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري (ت٦١٦هـ)، شارع جوهر الدراسة القاهرة، ط/١، ١٤٢٨-٢٠٠٨هـ.

١٠. التحرير والتنوير أو تحرير المعنى السديد ونمويرالعقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية- تونس، ١٩٨٤هـ.

١١. تفسير ابن فورك: لمحمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (ت٤٠٦هـ)، تح: علال عبدالقادر بندويش، جامعة أم القرى-المملكة العربية السعودية، ط/١، ١٤٣٠-٢٠٠٩م.

١٢. تفسير القرآن العظيم: لزكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي(ت٩٢٦هـ)، تح: د.موسى علي موسى مسعود، ط/١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.
١٣. تفسير مقاتل بن سليمان: لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، تح: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، ط/١، بيروت- لبنان، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
١٤. جامع البيان في تأويل القرآن: لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري(ت٣١٠هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط/١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
١٥. الجدول في إعراب القرآن الكريم: لمحمود بن عبدالرحيم صافي(ت١٣٧٦هـ)، دار الرشيد، دمشق-مؤسسة الإيمان، بيروت، ط/٤، ١٤١٨هـ.
١٦. جمهرة اللغة: لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت٣٢١هـ)، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين- بيروت، ط/١، ١٩٨٧م.
١٧. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، تح: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، د.ت.
١٨. دراسة الصوت اللغوي: لأحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة شارع عبدالخالق ثروت، ط/٤، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
١٩. علم الأصوات العام: لبسام بركة، مركز الانماء القومي، لبنان-رأس بيروت- المنارة- بناية الفاخوري.
٢٠. علم الأصوات اللغوية: لمناف مهدي محمد الموسوي، دار الكتب العلمية، شارع المتنبي-بغداد، ط/٣، ١٤١٩هـ-٢٠٠٧م.
٢١. علم الدلالة: لأحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط/٦، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٢٢. العين: لأبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت١٧٠هـ)، تح: د.مهدي المخزومي، د.أبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت.
٢٣. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي- بيروت، ط/٣، ١٤٠٧هـ.
٢٤. الكشف والبيان عن تفسير القرآن: لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت٤٢٧هـ)، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط/١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
٢٥. مجمل اللغة: لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبوالحسن (ت٣٩٥هـ)، تح: زهير عبدالمحسن سلطان، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط/٢، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٢٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تح: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية-لبنان، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٢٧. معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي): لمحيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي(ت٥١٠هـ)، تح: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط/١، ١٤٢٠هـ.
٢٨. معاني الأبنية في العربية: للدكتور فاضل صالح السامرائي، جامعة الكويت-كلية الآداب، قسم اللغة العربية.
٢٩. مقاييس اللغة: لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت٣٩٥هـ)، تح: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٣٠. المواءمة والمفارقة في سورة الفاتحة دراسة أسلوبيّة: للأستاذين باوه دين كريم مولود بكليَّة العلوم الإنسانيّة، جامعة كوية، وصباح كريم مولود بكليَّة اللُّغات جامعة كوية.
٣١. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: لأبي محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي(٤٣٧هـ)، تح: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ.د. الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة- كلية الشريعة والدراسات الإسلامية-جامعة الشارقة، ط/١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
٣٢. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي(ت٤٦٨هـ)، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق- بيروت، ط/١، ١٤١٥هـ.
٣٣. الوسيط في تفسير القرآن المجيد: لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي(ت٤٦٨هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبدالغني الجمل، الدكتور عبدالرحمن عويس، تقديم: الأستاذ الدكتور عبدالحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط/١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.